البحث عن جذور الحضارة

obeikandl.com

الحقيبة الفرعونية وأوراق العصر الوسيط

تعطى قراءة صفحات كتاب مصر العشرات من العبر، والدروس وقصص البقاء الحضارى فى أزمنة التحديات وقوة الإمبراطوريات العسكرية التى تعتمد قانون التفوق وحده ولا تنظر إلى قاموس الأخلاق الإنسانية وبنود الشرعية الدولية. وكلما اشتدت الأزمات على ساحة المنطقة يعود الناس إلى تاريخ مصر فى جميع مراحله لقراءة روح الأمة وشعورها بذاتها فى وقت يبرز فيه التحدى والمخاطر والنيران الدولية والإقليمية.

وقد عاشت مصر دائمًا تستند على تاريخها المنير ومواقفها الوطنية وصمود شعبها. وهل ينسى التاريخ لحظة هزيمة ١٩٦٧ عندما خرج المصريون يتحدثون عن إلغاء الدعم للقوات المسلحة وتأكيد أن خسارة المعركة ليست هزيمة وانما نكسة مؤقتة فى سلسلة تحديات كبرى يخوضها الشعب المصرى؟!

وتسجل أوراق كتاب مصر أن الشعب الذى صدمته الهزيمة لم يفقد عقله والتف حول أمن البلاد وصيانة جميع المؤسسات فى صورة قوية تعبر عن الإحساس بالوطن وقدرته على تخطى هذه الأزمة، وقد ظلت قوات الاحتلال على الضفة الأخرى من القناة، لكن معارك المقاومة لم تتوقف قط حتى جاءت المعركة الكبرى التى خاضها الجيش لطرد هذا المحتل وإنهاء أسطورته فى عبور أكتوبر المجيد فى عام ١٩٧٣.

والمصريون أهل وطنية وعروبة..وعند الأزمات يبرز معدن هذا الشعب العظيم الذى يحب بلاده ويدافع عنها بكل الوسائل حتى تبقى عزيزة منيعة ضد كل عوامل التحدى ومحاولة الحصار والتحجيم بالانفراد بالمنطقة.

والذين لا يعرفون مصر يتطاولون عليها وهم الذين يفتحون القواعد العسكرية أمام الغزاة الجدد ورجال الإمبراطورية الجديدة التى تسعى لرسم خريطة المنطقة عبر الاحتلال والوجود على الأرض واستخدام التفوق فى سلاح القوة.

ومصر بعد عام ١٩٥٢ هى التى نادت بتحرير المنطقة من الاستعمار وغلق القواعد، والمغامرات الخائنة من أنظمة ثرثارة هى التى جاءت بالأجنبى مرة أخرى مع احتلال الكويت وعملية تحريرها والمؤكد أن مصر قامت بدور الناصح ومحاولة وقف هذه الحرب. غير أن الأشاوس رفضوا نداءات تحاول حل القضية بعيدًا عن استخدام القوة العسكرية.

وما يحدث الآن هو صور لغياب المنطق الوطنى، الذى ألقى بالعراق فى مغامرات وحروب

أدت إلى هذه النهاية بوجود المحتل فى بغداد وعلى أرض العراق.

والشعب العراقى لن يقبل محاولة الاحتلال وتنمية ديمقراطية فى ظل المستعمر، فالمعادلة لا يمكن تحقيقها حيث إن الإباء الوطنى يرفض التعبير الحر بينما الوطن ذاته مكبل بالأغلال.

والذين يسوقون الديمقراطية بيد الاحتلال يبيعون بضاعة فاسدة غير صالحة للاستهلاك الآدمى، فالشعوب تعمل لحريتها أولاً، ثم حق التعبير هو نتيجة لإنهاء وجود الأجنبى. والديمقراطية والإحتلال لا يلتقيان أبدًا مهما كانت إغراءات التسويق السياسى وتوزيع الحلوى على الأطفال بينما الجنود يحملون المدافع الرشاشة!

وتاريخ مصر يقول: إن نابليون عندما جاء إلى المحروسة كان المصريون يعانون تحت سلطة المماليك الظالمة، لكن المقاومة الشعبية اندلعت ضد «سارى عسكر» وجاء سليمان الحلبى يقتل الجنرال كليبر. وقد رسم الكاتب المصرى القديم ألفريد فرج صورة لهذه المقاومة وأسبابها فى مسرحيته المتألقة التى حملت اسم الشاب الذى قتل «كليبر».

وكانت مصر ولا تزال نبض العرب.. وقصة سليمان الحلبى تجسد هذه المقولة فى تلاحم الشعور والوجدان بأن الخطر واحد والمطامع واحدة من أهل الشمال نحو الجنوب بثرواته وموقع المنطقة والتحديات القائمة على أرضها فى ظل الخطر الصهيونى الذى ينمو بسلاح القوة والبطش.

وقراءة تاريخ مصر تعيد الثبات إلى النفس فى مراحل القلق، وقد عاد الكاتب الراحل لويس عوض إلى أوراق التاريخ المصرى بعد هزيمة ١٩٦٧. وقد كتب جمال حمدان موسوعة «شخصية مصر» بعد النكسة للوقوف على عبقرية المكان ودلالة منطق الصمود والثبات فى هزة عنيفة تعرض لها الوطن.

وكتاب التاريخ المصرى يضم عشرات الفصول والقراءات حول أوراق الوطن العظيم وكانت أيام الحرب فى العراق الحافز على حضور عشرات المحاضرات فى المتحف البريطانى عن تاريخ مصر فى العهد الفرعونى لتأكيد جذور راسخة لا تزال موجودة تربط نهر الوطن بحضارة الأجداد ووجودهم قبل وجود أمريكا أو الغرب الأوربى، وقبل ظهور دونالد رامسفيلد الذى أطلق جنوده النار على متاحف بغداد الوطنية!

وخلال محاضرات المتحف البريطانى نتأمل تاريخ مصر وعصر البناة والرجال الذين شيدوا الأهرامات وأقاموا تمثال أبى الهول، حارس إرث الجدود وتاريخهم فوق هضبة الحضارة، ولا يزال يمارس مهمته حتى الآن، وأذكر عندما ذهبت إلى مشاهدة التمثال مرة أخرى منذ وقت قريب طافت بالذاكرة عشرات المعارك وكانت آخرها معركة الجنود الفرنسيين أمام التمثال العظيم الراقد فى صمت وإيقاع التحدى ونبضات الصبر والثقة التى تتحدث عن

بقاء الجذور واستمرارها وأن الأصلح الحضارى هو الذى يبقى ،وليس الجندى الذى يدمر متاحف التاريخ.

إن الإنصات لمحاضرات المتحف البريطانى يعطى المزيد من الثقة رغم الغبار الذى يحمله الجنود المدججون بالسلاح، وفى حالة زهو بالقوة والهيمنة وإخضاع لشعب عريق فى أرض دجلة والرافدين.

وحضور هذه الأمسيات حول تاريخ مصر يؤكد الثوابت وأن الشعوب تستمر بتاريخها وليس بقوة الدبابات والقنابل العنقودية التى تقتل الأطفال بوجه خاص.

وينظم المكتب الثقافى المصرى برنامجه الممتاز حول حضارة مصر، وحضور هذه اللقاءات يعطى أيضًا دفعة قوية بالثقة والاطمئنان، وقد ذهبت إلى متحف ألبرت وفيكتوريا لقراءة أوراق مصر القديمة فى العصر الوسيط عبر الحقبة الإسلامية وانتشار قيم حضارة دائمًا ليس بقوة السلاح ،وإنما بإضافة الأخلاق وميزان القيم الإنسانية العظيمة.

وعندما توجهت إلى متحف التبت البريطانى على ضفاف نهر التيمز وجدت لوحة لمحمد على الذى نصبته الحركة الشعبية المصرية بعد انسحاب قوات نابليون، ورغم أنه ألبانى وغير مصرى، لكنه أعطى إضافات مهمة لنهر الحياة المصرية وأسس بلا شك دولة كبيرة فوق الوادى رغم الأخطاء والعنف وسياسة القبضة الحديدية، لكن مصر تحررت من أسرة محمد على فى عام ١٩٥٢، وعادت البلاد إلى أهلها فى مسيرة من البناء والتطور واجهت عثرات وتحديات ،غير أن كيان مصر العظيم يعيش فى ثبات بالاعتماد على مؤسسات وقوة المجتمع التى تحافظ على تماسكه فى وقت القلق الذى يجتاح المنطقة بهذه القوة وتلك الزلازل المسئول عنها المدمرات البحرية الأجنبية والأساطيل الموجودة بهذا الحجم من الجنود والمعدات العسكرية.

وعندما تكون مصر سليمة، فإن المنطقة تشعر بالأمان لأن قوة المركز تعطى دفعة معنوية للأطراف حتى وهى فى حالة عجز أو احتلال، والذين هاجموا مصر خلال الفترات الماضية كان همهم القضاء على روح الأمة بعزل تاريخ مصر وكيانها ،لكن مصر الدور والتاريخ والبقاء تحدثت عنه محاضرات وندوات تتناول فترات المحروسة وأن وجهها دائمًا يحمل روح اليقظة إلى المنطقة.

ولقد ذكر الأكاديمى المصرى المقيم فى بريطانيا د. رشيد العنانى أن الكاتب نجيب محفوظ عندما بدأ يكتب أعماله الروائية عاد إلى تاريخ مصر القديم للحديث عن واقع البلاد خلال فترة الاحتلال البريطانى الذى جاء فى عام ١٨٨٢ وقد أعاد محفوظ بناء عالمه الروائى فى مصر القديمة فى فترة ظهور البطل أحمس وحرب التحرير المصرية ضد قوات الغزو والتى

تمثلت خلال العصر القديم فى الهكسوس، وكان أحمس بطل مصر الذى حمل بشارة الخلافة من نير الاحتلال.

ودروس التاريخ المصرى تؤكد أن الاحتلال زائل مهما كانت قوته، وصفحات كتاب مصر تشير إلى حملات جاءت إلى الوطن، لكنها لم تهز صورته، فقد ظلت مصر دائمًا هى نفسها من أهلها ووطنها واختياراتها الاجتماعية وشكل عقيدتها الدينية وهويتها الثقافية.

وقد عاش البريطانيون فى مصر تسعين عامًا، ويبحث الدارس عن أثر لهم فلا يجد، بينما تمثال رمسيس لا يزال فى ميدان باب الحديد فى دلالة بالغة على استمرار التراث والانتماء بلا تبديل.

وتجربة مصر فى رحلة الحياة تنفع بالعودة إليها الآن لتأكيد الثقة فى وقت يتعرض فيه العراق لهزة قوية نتيجة ما جرى له من نظام أرهق حيويته مما جعل الاحتلال لديه هذه القدرة على دخول العاصمة والبقاء فيها والإعلان عن قواعد ومرحلة من البقاء لفترة قد تطول من الزمن.

إن كتاب مصر يضم المئات من دروس التاريخ، ونجيب محفوظ فى حقبة الثلاثينيات زار هذا المتحف المفتوح وخرج منه بروايات عظيمة تتحدث عن كفاح طيبة ومقاومة البطل أحمس ضد الهكسوس.

إبداع الشعب

ألقت د. مرفت عبد الناصر محاضرة، أقل ما يقال بشأنها أنها بديعة وتربط سلسلة من العلوم والمناهج فى إطار متجدد بالمودة الشديدة مع موضوع البحث وهو المصرى القديم «أمنحتب» الذى طلت منه المحاضرة على تاريخ مصر وإسهام أبناء الأمة فى صوغ الحضارة خلال إطار من الفهم العميق للكون وإضافات الإبداع الإنسانى.

وتعتبر المحاضرة الفرز الطبيعى لعشق التاريخ المصرى القديم والإبحار فى عالمه بتقارب الانبهار بمنظومة حضارة كاملة. عالجت كل شىء تقريبًا من طبيعة المعرفة إلى فلسفة العمارة إلى النظر للكون ودور المرأة وحضور الروح، ورحلة الإنسان البالغة التركيب فى هذه الرحلة شديدة المضى فى عمق الحياة والموت وسجل الإنسان.

وقد استوعبت الدراسة المصرية تراكمات الفعل الحضارى المصرى ودخلت قلب التاريخ من خلال العشق والانبهار والتأمل.. وعندما تعيش فى مصر تكون مستغرقًا بالكامل فى جزئيات الحياة اليومية وعندما تخرج من شرنقة التكرار، تجد مصر في قلب الوجدان والعقل مما يتيح تركيب المعرفة الذهنية والاتصال الشديد مع فقرات الحضارة والوقوف أمامها للبحث فى أسرارها المركبة.

وقد انتقلت الأكاديمية المصرية من علوم النفس إلى علم الحضارة المصرية بطاقة بديعة من البحث والتأمل أدت بها إلى حالة من العلم الصوفى الغارق فى مادة عظيمة لا تزال تتجدد بهذه الاكتشافات اليومية بشأن أسرار مصر القديمة.

وربطت ميرفت عبد الناصر التاريخ بالحاضر، عبر هذه الإحالات لقصائد الشعر والأمثال الشعبية والقطع الغنائية عن أوتار الموسيقى وذكر الشيخ سيد مكاوى أو الاعتماد على قصة شعبية التأكيد أن التاريخ يتواصل وأنه ينتمى إلى أرض مصر ،وضعه المصريون بكل طوائفهم فى اقتراب شديد التألق من تراث الشعب المصرى، وإسناد العبقرية له، والتأكيد أنه الذى فكر وأبدع وشيد هذه الحضارة العظيمة.

وأشار د. عكاشة الدالى وهو يقدم المحاضرة إلى أنها تنتمى إلى المدرسة المصرية فى النظر لعلوم المصريات القديمة، أى التى تبحث عن إبداع الشعب ،وتدرسه وتتابع نقوشه على جدران المعابد وأوراق البردى فى رحلة إعادة كتابة التاريخ، ليس بالتركيز على الآثار والبناء والتماثيل فقط، وإنما عودة إلى سر الإبداع وعبقرية المكان والوقوف أمام تاريخ مصر. بنسب

المجد إلى أبناء الأمة من الفلاحين والصناع والمبتكرين العظام.

وأعطت المحاضرة تقييم هذا التدفق المصرى القديم وربط الصناعة الحرفية بالإبداع الجميل، وتتبع إنجازات العالم المصرى «أمنحتب» القادم من صلب البسطاء الذى أعطى إنجازات فى علوم العمارة وقياس ماء النيل، وأشارت إلى تواضعه الإنسانى وإلى عمله بلا ضجيج إعلامى بلغة العصر الحديث.

واختارت د. ميرفت مجموعة من أوراق البردى واللوحات الجدارية والنقوش لشرح فلسفة، فكر الحضارة المصرية التى تربط الجسد بالروح والحياة بسلم القيم والأخلاق والمعنى الإنسانى لطبيعة العمل وفكرة الصالح العام وحق الأمة وعلاقة الأمس بالغد فى إشارة إلى دور التاريخ فى تكوين المستقبل.

والمثير فى محاضرة ميرفت عبد الناصر هو هذه البساطة المتدفقة فى لغة الرد والقيام برحلة فى إعادة قراءة التاريخ بأسلوب يجمع بين رؤية أحمد بهاء الدين فى أيام لها تاريخ، ونهج جمال حمدان فى كتابه «شخصية مصر» وإذا كان حمدان ركز على عبقرية المكان فإن الباحثة المصرية تناولت «عبقرية الشعب» ورصد الأمة واختارت شخصية هذا العالم المصرى «أمنحتب» واعتبرته النموذج لإبداع أمة كاملة سبحت فى بحار المعرفة، وحلقت فى عالم الفلسفة المصرية ووقفت أمام حقائق مرتبطة بالإنسان فى رحلة الحياة ودور الروح.

وعندما تستمع إلى هذه المصرية المثقفة ترى مرحلة الدأب والتحصيل والقراءة فى كتب الأدب والأشعار والفنون، ولعل ذلك منحها «بوصلة» الفهم والوقوف على التاريخ بهذا المعنى العميق. إنها صاحبة رؤيا بالتأكيد لهذا يلمع علمها فى إطار النظرة التكاملية التى ترفض تجزئة المعرفة.

وتناولت رحلة البحث وتجسيد مسارات العالم المصرى القديم أمنحتب إلقاء الضوء العلمى والمعرفة على فلسفة التكامل التى تعاند التجزئة والصراع بين المادة والروح، أو الاعتماد على التناقض بين الحياة والموت. إن المصرى القديم شغف بالتأمل والاجتهاد والبحث العميق ولا يزال هذا الجانب يستحق المزيد من القراءة والبحث، وهذا ما تقوم به العالمة المصرية مع رموز جيلها ،مثل الباحث المتميز عكاشة الدالى فى إلقاء الضوء على علوم جديدة داخل نطاق المصريات يعلق بالبحث الصوفى وسجل العلاقة مع العرب وقراءة لوحة اللغة القديمة.

وكان اختيارًا موفقًا أن يقدم الدالى ميرفت عبد الناصر وهو مثلنا أصابه الإعجاب بها والحماس بجهدها ونظرتها. وتستطيع أن تلمس أخلاق هذا الباحث الشاب الذى يعزز قيم الأخلاق العلمية فلا غيرة ولا تنافس، بل على العكس محبة شديدة للعلم، لأن الساحة تسع الجميع والخير العلمى والإنسانى يعبر عن نبل التعاون. وقد أشاد عكاشة الدالى بالمحاضرة

وطاف بعالمها الجميل والأيقونات التى زرعتها فى طبيعة علوم المصريات عبر هذه الابحاث والكتابات التى تمزج بين الفن والأدب والبحث التاريخى فى العلاقة جديدة تذكرنى بما كان يكتبه الراحل د.حسنى فوزى الذى كان ينظر من عالم الموسيقى إلى الحضاره والانسا

وميرفت عبد الناصر تنظر من نافذة علوم المصريات إلى الفلسفة والفكر وعالم الروح وبلا غ دور الشعوب، وهذه المحاضرة التى رحت إليها جمعية الجالية المصرية حالة من إعاده الاكتشاف لباحثة مصرية تملك هذا العطاء، وقد تعرفت على د. ميرفت من خلال دراسة لها فى مجلة وجهات نظر، وشعرت أننى أمام باحثة مهمة تتجاوز مجرد حفظ المعلومات، وقد التقيتها فى المتحف البريطانى، لكن محاضرة الجالية منحتنى فرصة اللقاء مع هذه السيدة المصرية بكل الثراء الثقافى ووجهة النظر الثاقبة للتاريخ وحضارات الشعوب، والعلاقة بين الفن والعلم فلا خصومة ولا تناقض على الإطلاق.

وعرضت المحاضرة مجموعة مختارة من اللوحات المصرية القديمة، كأننى أراها للمرة الأولى، وهذه حساسية الاختيار المدهش عبر العين المثقفة.

وتأمل مسيرة د. ميرفت يؤكد أن الجيل الذى خرج فى رحلة البحث عن المعرفة والعلم بعيدًا عن حدود مصر، كان فى قلبه وعقله الوطنى كله بتاريخه وقضاياه، وركز على موضوع البحث فى نطاق المعرفة للوصول إلى حقائق تبعث الأمل فى عملية البناء والتواصل.

وقد أصدرت الباحثة موسوعة مصورة من أربعين جزءًا عن تاريخ مصر القديم موجهة للأطفال.

وقراءة تاريخ الباحثة المصرية يؤكد حقائق تغلق بطموح المصريين تجاه العلم والمعرفة، وشدنى فى عرضها البسيط والمثير بلغة العلم والفن وصولها إلى صيغة تجمع جمال الفن مع حقائق العلم على قاعدة من الفلسفة التى تتجاوز السطح الخارجى للأشياء.

وتحية لأمين الغفارى الذى اختار د. ميرفت عبد الناصر لإلقاء هذه المحاضرة، وهو دائمًا يبحث فى أوراق الحياة المصرية والعربية عن نماذج لها وجهها الخاص بالمعرفة والرؤية والحس المعرفى العام.

وعقب المحاضرة شارك الحضور فى حوار حول تاريخ مصر القديم وإعادة القراءة لملفاته وساهم المحامى صالح عبد الحميد فى جلسة النقاش مع د. مصطفى عبد العال وحسنى الشريف ومجموعة من الضيوف العرب.

وكانت أمسية عامرة بالثقافة والإبحار المتميز فى تاريخ مصر، التى أعطت البشرية هذا الملمح الإنسانى العظيم المرتبط بالقيم، حيث ارتبطت القوة بالمعنى البشرى فى تسخيرها لخدمة الإنسان.

تاريخ مصر فى قلب المتحف البريطانى

ألقى د. زاهى حواس أمين عام المجلس الأعلى للآثار المصرية محاضرة بالمتحف البريطانى بدعوة من قسم المصريات والمكتب الثقافى المصرى بالعاصمة البريطانية.. وكعادته دائمًا كان المحاضر فى قمة تألق منهجه فى الحديث وسرد المعلومات وتناول أحقاب العصور المصرية القديمة التى تركت هذا الكنز على أرض مصر، الذى يحرك الحوار الإنسانى بشأن حضارة عريقة ازدهرت على قواعد العلم والإيمان والتحليق فى سماء الإنجازات البشرية.

وأعطى د. حواس معلومات مستفيضة عن الآثار المصرية فى دور الحفريات الجديدة والاكتشافات المستمرة حيث لا يزال الجزء الأكبر من إرث مصر الفرعونى راقدًا فى جزيرة ممتدة من التراكم التاريخى الذى مر على الوادى، بهذا الحجم من التراث الذى تركته الأسر المختلفة والأحقاب التاريخية التى مرت فى شارع مصر القديمة، خلال عصر الفراعنة الذى امتد لفترة طويلة وازدهر فى العهد التاريخى القديم.

والتاريخ المصرى يمتد إلى الحقبة التى استمرت مع عصر البطالمة وحتى مرحلة الملكة كليوباترا، والصراع مع روما القديمة والحرب التى اشتعلت نتيجة طموح الملكة المصرية إلى إقامة امبراطورية ضخمة بين مصر وروما تحت عهد القيصر وامتد هذا الطموح إلى القائد العسكرى الرومانى أنطونيوس فى مواجهة أوكتافيوس الذى عارض هذا الحلم لأنه يقضى على الإمبراطورية الرومانية ذاتها.

وأعطى المحاضر المصرى معلومات جديدة فى لقاء تم داخل قاعة المتحف البريطانى وبالقرب من الجناح المصرى الذى يضم عينات مهمة من أحقاب التاريخ الفرعونى معروضة بشكل جيد يثير الاهتمام والاقتراب فى قلوب ستة ملايين زائر يدخلون بوابة المتحف الشهير كل عام.

ويستند المتحف البريطانى إلى حضارة مصر القديمة، وهو من حين لآخر يعقد عدة مواسم خاصة لاحتفالات بشأن تاريخ الاكتشافات للآثار المصرية. ويضم المتحف «حجر رشيد» الذي كان بداية فك شفرة الأسرار وشرح اللغة القديمة وتقديم معلومات مهمة للغاية، وكان البداية للاقتراب من اللغة المصرية القديمة والغوص فى رموزها وتقديمها للباحثين للبحث وقراءة البرديات والنصوص المكتوبة على أعمدة جدران المعابد والآثار المصرية.

وقد احتفظ المتحف البريطانى بحجر رشيد فى صفقة تمت مع فرنسا التى كانت وراء

العثور على الحجر وفك طلاسمه عبر العالم الفرنسى شمبليون الذى يحمل اسمه هذا الشارع المشهور فى العاصمة.

وأعطى وجود حجر رشيد ضمن مقتنيات المتحف البريطانى الاهتمام بالآثار المصرية عبر هذه المؤسسة الضخمة التى احتفلت بمرور ٢٥٠ عامًا على إنشائها ووجود المتحف البريطانى بحجم التراث المصرى الفرعونى، الذى يشكل جوهرة التاج فى عرش هذا الكيان التاريخى والبحثى والمهام التى يقوم بها فى متابعة الآثار المصرية وإرسال بعثات للحفر والتنقيب عن المزيد من الاكتشافات.

وكان الإنجليز وراء اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون، مما كان له أكبر الأثر فى الاهتمام العالمى بتاريخ مصر.

وجاء الاكتشاف مع بروز مرحلة مهمة فى النهضة الأوربية تطلعت للتعرف على حضارات قديمة فى الشرق فجاء العثور على إرث الفرعون الشاب توت عنخ آمون. ومنذ اكتشاف المقبرة الفرعونية وهناك حالة فى الاهتمام البالغ والمتابعة الدقيقة لتاريخ هذه الحقبة والقيام بحملات للتوثيق وإعادة كتابة المعلومات فى ضوء الاكتشافات والحفريات الجديدة.

وتناول عالم المصريات د. زاهى حواس حجم الاكتشافات الجديدة فى منطقة الأهرامات والجيزة والتى تبين حقيقة بناء تمثال أبى الهول ووجود هذه المعجزة المعمارية القائمة على هضبة أثرية تكشف عن عظمة البناء والدور الذى قام به البناة المصريون الذين شيدوا الأهرامات عن قناعة وطنية ودينية ليست فيها شبهة العبودية على الإطلاق كما تروج بعض النظريات غير العلمية فى الغرب.

وإضافة د. زاهى حواس المهمة هى تفجير هذه النظريات التى تحاول سلب قيمة بناء الأهرامات من الوطنية المصرية والادعاء بأن آخرين كان لهم فضل هذا الصرح على أرض مصر.

وتتمثل مدرسة المصريات النابعة من نهج جيل علمى مصرى فى قراءة التاريخ القديم ضمن اسهامات فعلية تقوم على المتابعة والتحليل والاعتماد على الحفريات والاكتشافات المهمة فى هذا النطاق. وتقول الدلائل الجديدة إن العمال المصريين أبناء الفلاحين هم بناة الأهرمات، وتسجل كتابات موجودة داخل غرف هذه الصروح تسجيل أسماء العمال لأنفسهم، لأنهم كانوا يدركون مهمة بناء أهرامات ستبقى فى دائرة الخلود، علامة على الإنجاز المصرى.

كان من نتائج الحفريات التى تمت على أيدى مصريين الوصول إلى تمثال رئيس العمال وكبير مهندسى بناة الأهرامات حيث تؤكد العملية فعل الإبداع وأنه جاء من أحرار وليس من عبيد.

اعتمدت النظريات الغربية الضعيفة علميًا على قناعات بأن البناء تم بمنطق العبودية والسخرة ،وتؤكد محاضرة د. زاهى حواس نفى هذه النتيجة وتأكيد أن المصرى المتحرر من أغلال العبودية شيد الأهرامات وهو يعرف الرمز الذى يعنى بالنسبة له الحاكم والعقيدة الدينية التى كانت سائدة فى ذلك الوقت.

يعتمد اسلوب العالم المصرى على الشرح بالمعلومات والوسائل التوضيحية واستخدام الوثائق ولقطات من حفريات تمت فى مواقع مختلفة لتأكيد طبيعة المنهج الذى يستند إليه فى قراءة هذا الأثر العظيم لمصر.

وقد شهدت الآونة الأخيرة الاهتمام البالغ بالتاريخ المصرى القديم وتحقيق المساندة لبعثات الحفريات سواء المصرية أو الأجنبية مع الاتجاه إلى مناطق جديدة كما حدث فى اكتشاف آثار الملكة كليوباترا تحت الماء فى الإسكندرية وما قامت به البعثة الفرنسية فى هذا الشأن.

كان المتحف البريطانى قد خصص مساحة كبيرة لمعرض ضخم عن الملكة المصرية مع اكتشافات البعثة الفرنسية وما توصلت إليه من كنوز جديدة كانت مغمورة تحت مياه البحر.

تشهد عمليات البحث والتنقيب نهضة كاملة نتيجة رعاية وزارة الثقافة المصرية والاهتمام بتوسيع المتاحف القائمة وإنشاء أخرى مثلما حدث بشأن متحف آثار النوبة الذى يعد كنزًا فى ضم هذه الصفحة المهمة فى تاريخ مصر والإضافات القائمة فى جنوب الوادى. وقد احتفل المتحف المصرى خلال الآونة الأخيرة بمرور مائة عام على إنشائه وتخطط وزارة الثقافة لإنشاء المتحف الجديد فى منطقة الأهرامات الذى يكون أية جديدة فى مسار الاحتفاء بكنوز الآثار المصرية وعرضها على العالم.

وقد أصبحت لندن عاصمة مهمة بشأن آثار مصر الموجودة فى المتحف البريطانى والعناية البالغة التى تترجم الاعتناء وطرق العرض، ووسائل علمية حديثة تساعد فى عمليات الترميم والتجديد، وكتابة الدراسات المختلفة التى تظهر عن المتحف البريطانى وعلماء علوم المصريات داخله.

وتشهد لندن حالة من رواج الكتب العلمية عن تاريخ مصر . ودائمًا هناك الدراسات الجديدة التى تركز على حقبة معينة، أو تعيد قراءة تيار التاريخ من خلال نظرية علمية جديدة. وتقوم عمليات التوثيق المختلفة بفتح مجال دراسات سينمائية تعتمد على أفلام تسجيلية لديها بعض الأفكار فى التعامل مع الأحقاب المصرية والعصور المختلفة.

وطاف د. زاهى حواس بالمراحل المصرية من خلال قراءة علمية متطورة تركز على ملامح مدرسة مصرية وطنية فى التعامل مع التاريخ وإنجازاته.

وللمحاضر شعبية كبيرة فى لندن فهو دائمًا يلتقى بالمهتمين بتاريخ مصر فى بريطانيا.

ويرتبط زاهى حواس بعمليات الاكتشاف المختلفة فى تاريخ مصر والجهود التى تعمل على إكمال مهمة البحث داخل الأهرامات والتوصل إلى المزيد من المعلومات. وكل التاريخ المصرى القديم يجذب البريطانيين وتجمعت أمام قاعة المحاضرات بالمتحف البريطانى مجموعة كبيرة من البريطانيين لسماع د. زاهى حواس ونظرياته الحديثة فى قراءة تاريخ مصر القديم.

وكانت المحاضرة مظاهرة كبرى تعبر عن محبة لمصر ولتاريخها القديم وحضورها الراهن فى أذهان شعب يحتل فيه التراث المصرى النسبة الكبيرة فى المتحف القومى للبلاد.

وآثار مصر ليست موجودة فقط فى المتحف البريطانى فى لندن بل فى مانشستر، إدنبره وجلاسجو وليفربول. وكلما ذهبت إلى متحف فى مدن بريطانيا وجدت إشارة مصرية على أثر أو تاريخ. وقد ذهبت إلى قرى داخل بريطانيا فعثرت فى متاحفها الغفيرة على صورة من مصر أو تمثال من مراحلها التاريخية الطويلة.

وعندما تعيش فى بريطانيا تدرك مدى أثر التاريخ المصرى على الحضارة البشرية ولدى البريطانيين الهاجس المصرى، ورغم محاولات تجارية هنا وهناك فى السينما والكتب السيارة، فإن الهوى البريطانى يتعلق بمصر وتاريخها المتميز فى الحقبة الفرعونية والدليل هو الازدحام على محاضرة زاهى حواس الاندفاع لسماع عالم قادم من أرض النيل تخصص فى حضارة الفراعنة، ومهمته هى التركيز على الحفريات وتوفير الحماية والاهتمام لهذا الأثر العظيم.

ويمثل المحاضر نوعية الجيل المصرى المعاصر الذى تعلم فى مؤسسات العلم المصرية وتشبع بقيم الدراسات الوطنية وتمكن خلال فترة وجيزة من إعادة نهج الدراسات إلى موضوعات جديدة تنفى بعض النظريات عن بناة الأهرامات وأبى الهول.

والاستماع إلى زاهى حواس يمثل الإنصات إلى روح مدرسة المصريات الوطنية بكل زخم القراءة المتجددة والعميقة والتى تعيد اكتشاف مراحل التاريخ.

ولا يزال تاريخ مصر يحتاج المزيد من بعثات الاكتشاف والحفريات، وتمثل الوفود المتخرجة فى الجامعات المصرية وقود عملية البحث وإعادة قراءة التاريخ.

ويفتح علماء المصريات بهذا الزخم صفحة جديدة فى سجل كتاب مصر وتقديم بوصلة مشعة لإنارة مساحات أخرى واكتشافها بمنهج العلم وصحبة تاريخ الوطن.

مصر فى سجل الوثائق البريطانية

تعيد الأفلام الوثائقية البريطانية قراءة تاريخ مصر الفرعونى باستخدام الوسائل الحديثة جدًا والاهتمام بالمعلومات الجديدة المتوافرة من اكتشافات الحفريات وظهور الأوراق التاريخية عن حقب مصر القديمة فى عهود التفوق التى اعتمدت على القوة العسكرية والرؤية الحضارية لمصر الموحدة وقلب إمبراطورية قامت فوق وادى النيل واستمرت لفترات طويلة فى عصر الازدهار العام خلال العهد القديم كله، حيث كانت مصر مركز الكون والعالم.

وتعطى المعلومات الجديدة وطرق التقنية الحديثة فرصة لإعادة بناء معمار التاريخ وقراءة الحلقات البارزة التى مرت على أرض مصر، فى تسلسل الملوك والعصور والأحقاب التاريخية المختلفة.

وعمق هذه الأعمال التى تعرض على المشاهد فى بريطانيا هو الانتماء إلى مصر والتشبع بقيم دورها والعمل على توسيع مدى نفوذها الحضارى على أرض العالم القديم كله.

ومازالت هذه النزعة المصرية الصميمة هى راية الانتماء بكل مظاهر الوعى والالتزام، ولعلنا ندرك أنه مع نهضة مصر الحديثة ومع انفجار ثورة ١٩١٩ عاد المصريون إلى تاريخ الفراعنة للبحث عن المجد والعزة للتصدى للاحتلال الذى كان قائمًا، ويرهق مصر، وقد بنى المثال المصرى محمود مختار أسلوب النحت الفرعونى واعتمد على مادة «الجرانيت» فى تصميم تمثال «نهضة مصر» الذى يقف على أعتاب ميدان الجامعة فى تبلور الشخصية المصرية وتطلعها إلى الأمام، وكان العام الذى جاء بعد ثورة ١٩١٩ بداية عصر النهضة الحقيقية فى ظهور الروح المصرية التى اعتمدت على النمو والثقة والعودة إلى جذور الفراعنة واستلهام سنة المجد والعزة بتراب الوطن.

وقد كتب حافظ إبراهيم قصيدة مصر التى غنتها السيدة أم كلثوم وشهدت تلك المرحلة تبلور الفن المصرى وانطلاق مشروع الثقافة المصرية وازدهار التعليم والجامعة عندما بدأ الحكم المصرى يدفع عجلة التنمية بعد استرداد الثقة فى التمرد على المستعمر وتحديه والمناداة بالديمقراطية فى مواجهة الاحتلال وسلطة الاغتصاب التى كانت قائمة.

وقد عرضت القناة الثانية فى التلفزيون البريطانى الفيلم الوثائقى التسجيلى الذى يكشف عن ثلاثية ذهبية من تاريخ مصر القديم مرتبطة بأحمس قاهر الهكسوس والملكة المصرية حتشبسوت ثم تحتمس الثالث، وحجم الانتصار الذى جرى على يد إمبراطورية قائمة على المجد والوطنية المصرية.

ودائمًا تعود قنوات التلفزيون البريطانى إلى التاريخ المصرى القديم الذى يمثل المنبع الذى لا ينتهى من معلومات وحقائق وسجل نضال طويل فى بناء مجد مصر وإقامة صرح نهضتها فى عصر تميز بهذه الدولة وإنجازات فى العلم والحضارة، ويتفهم الإنسان بواعث مجموعة من المفكرين المصريين كانت دائمًا تعود إلى الأحقاب الفرعونية للبحث عن تاريخ المصريين والوقوف على منطق العزة والتألق وعناق الطموحات الوطنية.

وأنصار النزعة الفرعونية لا يعزلون مصر عن تاريخها الإسلامى أو القبطى والهوية العربية. وإنما يستلهمون فترة التوهج الحضارى والانتشار العلمى والريادة فى الفن والثقافة والطب والاختراعات، وهذه العودة لتنشيط الذاكرة والرجوع إلى الماضى لشحن همة الحاضر.

وكان المصريون مع بداية القرن الذى انفتح على الاحتلال يرجعون إلى الحقبة الفرعونية، وارتبطت حركة البناء بالطراز الفرعونى القديم وسادت قيم ثقافة ترجع إلى منبع الفخر، عندما كان الوطن إمبراطورية عريقة تحفز فعل الحضارة والعلوم وتعانق ألوية المجد والانتصار.

وقد دعا نجيب محفوظ فى بداية عمله الروائى إلى الحقبة الفرعونية عندما كتب روايات كلها تستنهض الذاكرة عن مجد مصر فى عمله الرائع كفاح طيبة، رادوبيس ثم «عبث الأقدار».

واهتمت كتابات أخرى بالتأريخ للحقبة الفرعونية والاهتمام بها وتأسيس الأقسام الخاصة فى الجامعات المصرية لدراسة حضارة الأجداد، وقد أسهمت هذه العملية فى بروز عدة شخصيات مهمة عالمة بعلوم حضارة مصر القديمة، وقد ظل هذا الفرع مقصورًا على الباحثين والعلماء فى المعاهد الأوربية والأمريكية والدراسات الغربية بشكل عام.

وفى البرنامج الذى بثه التلفزيون البريطانى انطلق عالم الآثار المصرى د. زاهى حواس يتحدث عن أبطال مصر فى عصور قديمة ويشير إلى الأبحاث الجديدة والتحليلات المرتبطة بعلوم وطنية تنظر إلى شخصيات وملوك الفراعنة باعتبارهم من صناع حضارة مصر، وقاموا بدور مهم للغاية فى توحيد البلاد وصيانة أمنها والتوسع فى شكل الإمبراطورية لتأمين حدود الوطن والمحافظة على رخائه.

وقد توسع برنامج العصر الذهبى للإمبراطورية المصرية فى شرح الطموحات لملوك حكموا مصر وساعدوا على ازدهار اقتصادها وتأمين وحدتها، وتوقف البرنامج الوثائقى عند البطل «أحمس» وما قام به لإحياء نهضة مصر وطرد قوات الغزو وتطهير البلاد من رجس الاحتلال الذى جاء مع الهكسوس. ويمتلك أحمس عمق الوطنية المصرية وما قام به من إعادة بناء الجيش والتدريب على القتال وحماية الجبهة الداخلية ومقاومة قوات الغزو التى جاءت إلى البلاد وعسكرت فيها. وأذكر أنه بعد هزيمة ١٩٦٧ رجع شعراء مصريون إلى البطل أحمس

لاسترداد قيمة الاستعداد العسكرى لطرد المغتصب لأرض «سيناء» وتحريرها منه، وكانت معركة أكتوبر بلا شك تستلهم خطى البطل أحمس فى عبور القوات المسلحة وطردها للغازى من سيناء المصرية.

واعتمد برنامج التلفزيون البريطانى على معلومات ووثائق وقراءات البرديات لدور البطل أحمس فى تحرير مصر والمحافظة على وحدتها وأمنها. وانتقل البرنامج إلى الملكة حتشبسوت التى كانت أول امرأة تحكم مصر.. وعرضت الوثائق كيف أن المصريين القدماء أعطوا المرأة مساحة كبيرة من الحرية والوجود فى وظائف الحياة. فقد قامت الطبيعة الاجتماعية على الامتزاج وليس الفصل بين العنصرين.

وتميز حكم الملكة المصرية بعلاقات عبقرية مع دول الجوار والانتقال فى مناطق أخرى من العالم لتعرف خيراتها ومحاصيلها الزراعية. وكانت حتشبسوت على وعى كامل باحتياجات مصر وانتقالها إلى الرخاء الاقتصادى والمحافظة في الوقت نفسه على وحدة أراضيها وتماسك دولتها.

وأسهب البرنامج فى إلقاء الضوء على أول ملكة مصرية حكمت فى التاريخ القديم والثراء الذى جاء معها فى التحرك نحو الاقتصاد والذهاب إلى دول أخرى مثل بونت فى جلب البخور والتوابل ومعرفة عدة أنماط جديدة من أسلوب الحياة.

وتنتقل الكاميرا إلى ملك آخر شيد الإمبراطورية على التوسع وتأمين حدود مصر والدخول فى معارك عسكرية لتحقيق المجد والقوة فى زهوة العصر الإمبراطورى المصرى العريق على يد تحتمس الثالث.

وأتاح هذا البرنامج قراءة تاريخ مصر بطريقة مشوقة للغاية عبر المعلومات والتجسيد الدرامى، وشرح الأحقاب المختلفة بطريقة جذابة ومميزة للغاية.

من الأهمية توفير هذه المواد أمام المشاهد المصرى لمعرفة تاريخ بلاده. والحقيقة أن تاريخ الحقبة الفرعونية لا يجد الاهتمام الكافى فى تدريسه بطريقة جذابة، لذلك ينمو الطفل المصرى وهو يشعر بالاغتراب عن عهود الأجداد. ويهتم البريطانيون بتاريخ مصر بشكل ملحوظ للغاية حيث يجرى تدريسه فى جميع المدارس والمراحل، لذلك تجد هذا الولع بمصر وزيارة المتاحف لمعرفة المزيد من هذا العقد الفريد فى سجل الحضارة الإنسانية - وفيلم التلفزيون البريطانى، مزج بين المعلومات والعرض الدرامى مع وجود الموسيقى واستخدام حبكة العمل الفنى لشد المتفرج، كأنه يتفرج على فيلم سينمائى عن الفراعنة المصريين.

واستعان الفيلم الوثائقى الذى امتد لما يقرب من ساعة بمجموعة كبيرة من رجال البحث والتعليق والدراسات العلمية فى الجامعات البريطانية والأمريكية حول تاريخ مصر. وبرز

أسلوب د. زاهى حواس رئيس المجلس الأعلى للآثار فى مصر بأسلوبه المتدفق فى التعليق ووعيه الشديد بتاريخ مصر وإدراكه لطبيعة الحس الوطنى لدى ملوك الفراعنة، حيث كانوا يتحركون بوازع وعاطفة وطنية صادقة لأجل مجد مصر وازدهار ثرواتها وحضارتها.

ود. زهى حواس ومجموعة أخرى من علماء المصريات يعكسون هذا الألق البالغ فى تجسيد مدرسة وطنية فى إطار فرع الدراسات القديمة وطبيعة منهج القراءة الحضارية تقود إلى بلورة مجموعة من القيم تعكس تاريخ البشر وارتباطهم بهوية مصر فى عهدها القديم و ربط العمل والبناء بعظمة الوطن وحريته.

والوصول إلى فكرة بناء الأهرامات عبر جيش العمالة المصرية يؤكد مقولة الانتماء وأن الانتظام فى هذا الجهد على مدى عشرين عامًا ارتبط بالعطاء الحر والالتزام بقيمة عليا بشكلها الحاكم آنذاك وارتباطه بالسماء والدين.

وتكشف وقائع برنامج التلفزيون البريطانى تأكيد هذه الحقائق البارزة التى توارت لقرون طويلة بشأن العبودية وجبروت الحكم الفرعونى وقيامه على السخرة والعبودية.

ولعل فرقًا معينة من الباحثين حاولت تأكيد هذه المقولة لإلقاء الشبهات على مصر الفرعونية، لكن بلورة مدرسة جديدة فى علوم المصريات تنفى مختلف مقولات الظلم والتعسف لأن أحمس اعتمد على الجيش المصرى فى تطهير البلاد من الهكسوس، وكان أفراد الجيش من أبناء الفلاحين الأحرار حيث ارتبطوا بالدولة وطموحها والدفاع عنها.

والأحرار وحدهم يستطيعون القيام بمهمة التصدى للغازى وتحرير البلاد من قوات محتلة غاصبة للأرض والإرادة معًا. وكان أحمس بطلاً مصريًا وطنيًا كذلك مجموعة الملوك الفراعنة الذين أحبوا مصر بهذه المساحة العريضة من العزة الوطنية الرشيدة.

وفتح كتاب مصر فى أوراق التاريخ القديم والحديث والمعاصر هو العزف على أوتار شخصية مصرية، وتحدث عنها جمال حمدان فى كتابه الفريد الذى استطاع تسجيل تضاريس الوطن عندما كان يعانى تحت وطأة نكسة هزت قناعات كثيرة. وعاد حمدان إلى ثوابت الجغرافيا وحقائق التاريخ ليشحن مصر بقوة الاعتزاز والثقة وعدم السقوط فى ساحة اليأس.

إن تاريخ مصر صنعه البشر دائمًا بالاعتماد على حب الوطن وإعلاء مصالحه وأمنه فوق كل شىء.

قراءة تاريخ الفنون المصرية

يكتسب الفن العربى داخل بريطانيا أرضية جديدة ومساحة عريضة من الاهتمام والمتابعة.

وقد نجحت اتجاهات متنوعة فى فرض أفكارها الفنية بالإصرار على منهجها ومنطلقاتها الجمالية والارتكاز على قاعدة من الإبداع عكس عمق سمات الهوية وتفردها وخصوصية عالمها الذى تخرج منه.

والغرب لا يهمه إعادة النظر فى مرآة تعكس نظامه وأفكاره، عبر بعض الرؤى الفنية التى عملت على استنساخ اتجاهات تمت على المسرح الغربى، من سيريالية وتكعيبية وبعض المذاهب الفنية الأخرى، التى انتقلت إلينا عبر التماس الحضارى مع أوربا والعالم الغربى بشكل عام. إن الاهتمام الحالى هو بعالم الخصوصية الثقافية والتعامل مع ما تطرحه من سمات الهوية للتعرف على مكونات حضارية نمت فى حضن الشرق وترعرعت فى ظلال الإسلام الذى أعطى صورة مختلفة لعلوم الجمال الفنية تعتمد على منهج قرآنى واضح، يعبر فكرة التجسيد ولا يقف أمامها، ويستثمر على حالة التجريد الكاملة لبعث فكرة الرمز لتحريض العقل على التفكير وتحريك الوجدان للتأمل والتبصر والاعتماد على القراءة العميقة الواعية لهذا المنهج الخاص.

وعندما جاء الإسلام كان العالم يحفل بصور عديدة فى حالة ازدحام وتشوه تعمل فى إطار التجسيد، ومحاصرة العقل ومنعه من الانفلات والبقاء أمام الحالة المادية فى شكلها المتردى والضعيف والفج فى عالم شكل الخروج الجارف على لغة التوحيد ودلالة الرمز والاستعانة بشكل الحرف والانطلاق فى عالم الرمز الدال على الخالق ووحدانيته وسموه فى عالم المادة وهو ما يحوطه من ضعف فى التعبير وفقر فى اللغة وأداة الفن.

وتعطى فكرة علوم الإسلام الجمالية فكرة أخرى للجانب الآخر من النهر، لذلك يهتم علماء من عالمنا المعاصر برصد الظاهرة فى مسار الحضارة والفهم والتطلع إلى النموذج الآخر الذى يقدم منظومة كاملة فى علاقات الحياة والثقافة والنظير الحضارى.

ويسعى العالم الآخر فى مستويات الثقافة والحضارة إلى التعرف على عالم مختلف يعكس تيار ريح الشرق ويترجمة بلغة الفن القادرة دائمًا على الكشف. وتمثل اتجاهات فنية قوية فى داخل الغرب التعبير عن سمات هوية تنتسب إلى التراث وإلى الإسلام وإلى شكل مختلف فى عالم القيم الجمالية.

وقد رفضت المسيرة الفنية منذ فجر التاريخ الخضوع لنموذج واحد، وسعت الإنجازات البشرية المحافظة على تيار التنوع ورفض القولبة تحت إطار واحد، يسلب الإنسانية ثراء التعدد ويقضى عليه. وقد شهدت الآونة الأخيرة قبل اندلاع فكرة «صراع الحضارات» بلورة واضحة لاتجاه عام يهتم بالآخر، وكان سقوط فكرة المعسكرات السياسية والأيديولوجية دعوة لفتح الباب للتعرف على ثراء الحضارات. وكانت الانتقادات الخارجية من معسكر الغرب ضد الشرق خلال الحرب الباردة، أن الإمبراطورية الأخيرة قضت على التنوع الثقافى باعتماد فكرة واحدة خانقة لا تسمح ببروز الاختلاف.

وفى عالم ما بعد الحرب الباردة بدأ الاهتمام بتكوينات تاريخية وثقافية فى حزام منطقة عريضة جنوب الاتحاد السوفيتى السابق. وتبلورت اهتمامات واضحة بالحضارة الإسلامية التى كانت مقفلة فى ظل سياسة الستار الحديدى والفكرة الأيديولوجية الواحدة، وقد اكتشف العالم مهنة أخرى للثراء وهى التنوع والتجدد فى متابعة نظم العمارة الإسلامية وكنوز لوحات الخطوط التى تعتمد على الحرف العربى والنقش والزخرفة الإسلامية فى أشكالها المتعددة والمتنوعة.

وتعطى رياح العودة إلى الشرق مظهر الاهتمام البارز بقراءة اللوحات التى تم تصويرها عبر مجموعة من المستشرقين الغربيين جاءوا إلى المنطقة مع بداية القرن التاسع عشر، وشهدوا لوحة مختلفة تصور الشرق فى خصال التفرد الحضارى والتراكم الذى استمر لقرون طويلة.

وكلما ذهبت إلى المتاحف البريطانية وجدت الأعمال المختلفة التى ترسم نهر الثقافة والتميز الحضارى لعالم الشرق مع التركيز على لوحات تخص مصر، التى تجذب الاهتمام الغربى، حيث كانت القاهرة بوابة المنطقة والشارع المفتوح على حضارتها العظيمة.

وخلال جولة فى مناطق اسكتلندا عثرت على عشرات اللوحات عن مصر والنيل والدلتا موجودة بجوار الآثار المصرية القديمة والتى تحكى فقرات فى التاريخ البشرى الإنسانى تمجد هيكل هذا الإنجاز الذى تحقق فوق وادى النيل.

ويضم متحف اسكتلندا القومى العشرات من الآثار المصرية النادرة مع مجموعة متكاملة من إرث مصرى وشرقى فى مرحلة حكم المماليك مع لوحات لمستشرقين من القرن التاسع عشر ذهبوا إلى مصر وعادوا بحصيلة من الأعمال التى تمثل قراءة بديعة لتاريخ مصر عبر قرون طويلة من الإبداع والجمال والتفرد الحضارى.

وعندما تدخل متحف اسكتلندا القومى ترى أن آثار مصر، هى العماد الأول لهذا الهيكل الحضارى الذى يطل على «جلاسجو» العاصمة التجارية للبلاد ودائمًا اسكتلندا على علاقة ممتدة مع مصر واشتبكت معها فى حوار حضارى. ولعل اهتمام فنان اسكتلندى بمصر هو

ديفيد روبرتس، يمثل هذا الولع بمصر وفنها فصول حضارتها المبهرة.

وقد انتقلت مصر من التجسيد الفرعونى إلى التجريد الإسلامى فى لغة واضحة لمدى استيعاب فكرة التحول والتعبير وقدرة الشخصية المصرية على التعامل والتأقلم والتعبير فى أشكال مختلفة.

وفى متحف اسكتلندا القومى يوجد النموذج الفرعونى مع الآخر الإسلامى فى علاقة واضحة تعبر عن تنوع دلالة التاريخ وحكمته المرتبطة به. وكانت البشرية فى تصوراتها الأولى تميل إلى محاكاة الطبيعة، والاعتماد على الصورة التى تعكس على الصورة ملامح البشر والحيوان معًا. لكن تطور العقل البشرى جعله يستتر فى التجربة الإسلامية على التجديد واستخدام الرمز.

وتعتمد متاحفنا بمصر على فكرة الفصل، فهناك المتحف المصرى والآخر القبطى والثالث الإسلامى. ولعل زيارتى الأخيرة إلى اسكتلندا دفعت نحو تأمل تطور الأحقاب التاريخية مع وجود هذه النماذج كلها فى متحف واحد ومنطقة قريبة للغاية تلقى الضوء على التجربة المصرية التى كانت ولا تزال تعايش فكرة الترابط والحوار الداخلى والنماذج بين الأفكار مع الاحتفاظ بالخصوصية قائمة على أرض النيل وتحت سماء مصر.

وخلال جولة فى منطقة جولشستر ببريطانيا وجدت فى متحفها القومى بعض الآثار المصرية. وعندما ذهبت إلى منطقة ريفية عثرت على متحف خاص يضم عدة قطع تضم لوحات الخطوط بالدعاء وأخرى عليها عبارات من القرآن الكريم.

وتعطى مصر دائمًا فكرة عن طبيعة الانتقال والنمو فى مساحة العالم القديم. ثم خصوصية لامعة بشأن الديانات ونموها على أرض الكنانة. ومن الصعوبة أن تفصل مراحل مصر إلا من خلال وجهة نظر تريد شرح التاريخ والوقوف عند أحقاب معينة. والحقيقة أن مصر مستمرة دائمًا فى أطوار ترافق تجربتها وهى الامتصاص الكامل والتسامح والاستيعاب دون معارك أو خلافات أو تحزب قاتل، والشخصية المصرية تجمع فى قلبها هذا.

التداخل المدهش بين الإرث الفرعونى والتراث القبطى والإضافات الإسلامية. وعندما كنت فى متحف اسكتلندا القومى وشاهدت قطع الآثار المصرية القديمة مع لوحات من الحقبة الإسلامية تذكرت حى شبرا الذى عشت فيه عندما كانت الاحتفالات الدينية تتداخل مع بعضها البعض وقرب كنيسة سانت تريزا مع الجامع الخازندار ويمشى الأقباط مع المسلمين معًا، مع انتماء الاثنين إلى الحقبة الفرعونية التى كانت قائمة فى العهد القديم. ومن الخطأ القول: إن مصر فرعونية. إذ إنها خليط بين تراكم حضارى طويل مع وجود ديانات لها قدسية فى قلوب المصريين.

وقد دفعنى التأمل فى خارطة مصر لزيارة لمناطق اسكتلندا حيث وجدت الاهتمام البالغ بآثار مصر الفرعونية والإسلامية مع إشارة للعصر القبطى فى متحف تاريخ الأديان بجلاسجو، عاصمة المدينة الكبرى المزدحمة بدورها بالحضارات والأفكار والناس.

واعتدت خلال الآونة الأخيرة قراءة التاريخ من خلال الفن وأرى أن هذه النظرة تجمع اكثر مما تفرق. وقد رأيت مصر خلال زيارة لاسكتلندا وتوقفت أمام لوحات تجسد فكرة القوى الإسلامية، ولدى متحف الأديان بجلاسجو لوحة كبيرة للفنان والأكاديمى المصرى د.أحمد مصطفى، الذى ألقى فى الآونة الأخيرة محاضرة بارزة بالمكتب الثقافى المصرى تتحدث عن أفكاره ودراسته لعالم الحرفى العربى. واللوحة المعروضة لأحمد مصطفى. تمثل قراءة عريضة باللون والتصميم لأسماء الله الحسنى. وقد شق الفنان موجة خاصة له هى عالم هذا الفن الخاص الذى يعيد تشكيله مرة أخرى على أسس فهم واستيعاب.

ودائمًا أصغى لكلمات أحمد مصطفى، وكانت مناسبة أخرى للقاء معه فى مدينة اسكتلندا والعقل يبحث فى قضية الفنون وتطورها من التجسيد إلى التجريد على أرض التجربة المصرية الخاصة التى تعبر عن رحلة طويلة فى عالم الاكتشاف والتبلور الروحى فى مشوار النضج الحضارى الإنسانى.

إن مصر كتاب مفتوح على فلسفة الحضارات والإبداع.. وقد توقفت فى اسكتلندا أمام حكمة الفنون الإسلامية ودفعنى ذلك إلى القراءة الطويلة فى عالم التنوع المصرى الذى حافظ على تراثه الفراعنة والذى يعيش جنبًا إلى جنب بحوار الإرث المسيحى ونهج الحياة الإسلامية. لقد عاش المصريون خلال تاريخهم فى حوار متصل يكره العنف وسفك الدماء.. والتاريخ المصرى نظيف من صراعات طائفية وهذه الخصوصية حافظت على إرث حضارى ممتد حتى الآن فى مجرى الحياة المصرية.

وكانت فرصة الذهاب إلى اسكتلندا لقراءة اللوحة المصرية العريضة بأفكار وديانات مستمرة فوق أرض الكنانة المصرية بعمقها ورونقها الخاص.

والنظر إلى مصر من الخارج يساعد على قراءة موضوعية، وأخذت الشمال الاسكتلندى فى رحلة سريعة كانت فقط لزيارة المتاحف التى ليس لديها غير إرث مصر، من الفرعونى التجسيدى إلى عالم الإسلام بالتجريد والتكامل والقناعة الدينية البارزة.

كتاب الحضارة المصرية
فى «مانشستر»

تتباهى مدينة مانشستر البريطانية بمجموعة الآثار المصرية التى لديها، وقد تجمعت هذه الأعمال عبر فترة طويلة واستقرت فى المتحف القومى الذى أصبح «جوهرة التاج» فى عالم السياحة والاكتشاف والمعلومات الحضارية.

ويعيد متحف مانشستر ترتيب أجنحته، ويضع الآثار المصرية فى بؤرة الاهتمام لجذب السياحة من أوربا ومنافسة لندن التى لديها أكبر مجموعة من هذه الآثار.

وقد تأسس متحف مانشستر فى عام ١٨٤٤ واعتمد على مجموعة مصرية نادرة تمثل إطلالة بالغة على نهضة الحضارة المصرية القديمة وعصر الأسرات المختلفة التى جاءت إلى وادى النيل، وتعتز مانشستر بهذه المجموعة المصرية النادرة التى تجذب علوم المصريات إليها وبرامج المحطات الفضائية الجديدة التى تعتمد على فتح كتاب مصر الخلاب والساحر.

وهناك حقيقة مهمة هذه الأيام وهى أن الفضائيات المتخصصة فى علوم الحضارة والتاريخ والجغرافيا، تسلط الضوء على تاريخ مصر من عصر بناة الأهرامات حتى مرحلة الملكة كليوباترا وامتزاج العصر الإغريقى مع الرومانى على أرض مصر. وتهتم هذه الفضائيات العلمية بالتاريخ وبحضارة النيل التى تدفقت على الوادى المصرى منذ فجر الإنسان.. وتشغل نظريات بناء الأهرامات والتحنيط فكر هذه البرامج التى تتدفق خلال اليوم عبر أكثر من محطة.

وقد أعادت حلقات الدراسة التاريخية الاهتمام بالعصور السياسية ومعارك البلاط والصراع داخل القصور، مثلما حدث فى البرنامج الخاص حول الملك الشاب توت عنخ آمون.

ويتباهى «متحف مانشستر» بما لديه من معلومات عبر حلقات البحث المستمرة بشأن علوم المصريات والتاريخ المرتبط بمصر القديمة، ولأن المتحف لديه كل هذه الأعمال الكبرى فحولها إلى حلقات من الدراسة والاهتمام العلمى فى أقسام علوم جامعات مانشستر المختلفة.

ويؤكد المشرفون على الجناح المصرى فى متحف مانشستر أن المجموعة الموجودة نادرة ولها تفوقها الخاص وارتباطها بحلقات الدرس حول تاريخ مصر القديم.

ويعتمد المتحف فى مانشستر على طريقة جديدة فى العرض تربط الآثار والمجموعة المرتبطة بها من معلومات وحقائق وأرقام بالحقبة السياسية والاجتماعية المتعلقة بها، وتسمح

طريقة العرض بتقديم خطة شاملة متكاملة للاقتراب من الحياة المصرية والتعرف عليها كل متصل وفهم دلالات هذا الإيقاع الحضارى المصرى.

وتزدهر فى مدينة مانشستر الكتب المتعلقة بدراسة الحضارة المصرية والتعريف بها وإلقاء الضوء على عصر الحكام والأسر والمراحل التى مرت بها مصر.

وترتبط مع هذه الحلقة مواد دراسية فى أقسام علوم المصريات داخل جامعات «مانشستر» وكلياتها العلمية ومعاهدها المختلفة، ويساعد الاهتمام بمصر فى هذه المدينة والمقاطعة على التركيز على زيارة مصر، وتشهد حركة السياحة الإقبال على التوجه إلى الأقصر، الجيزة والقاهرة لمشاهدة أكبر متحف فى العالم لمراحل هذه الحاضرة التى لا تزال تؤثر على فكر العالم وتشغله بهذه الاكتشافات اليومية.

وزيارة مانشستر والتجوال فى متحفها القومى يلفت الانتباه بشدة إلى مصر، فمنذ الوصول بالقطار إلى المدينة قادمًا من لندن تشعر بوجود مصر هنا عبر هذه الملصقات التى تدعوك لزيارة المتحف القومى واللقاء مع عصور فراعنة النيل على أرض الوادى المصرى.

وتنتشر دعوات المتحف القومى فى كل مكان وكلها تدعو إلى الزيارة واللقاء مع تاريخ يعود إلى آلاف السنين ويطل من نافذة مانشستر على حقول المعرفة والعلوم التى مشيت فوق الوادى المصرى السعيد.

وموضوع الحضارة المصرية يشغل بال جميع المتاحف وقاعات العرض الأثرية فى بريطانيا فكل متحف من اسكتلندا حتى ليفربول يحرص على وجود مجموعة من القطع المصرية.

وهذا الحشد الكبير دعاية مهمة لمصر لأنه يوجد روح الاهتمام بالوطن لدى الشعب البريطانى وزواره من أنحاء العالم. والمعروف أن المتحف البريطانى فى لندن يزوره كل عام نحو ٦ ملايين شخص، يتابعون جناح الآثار المصرية الأكبر فى العالم بهذا الحجم وطريقة العرض والاهتمام بالتوثيق العلمى.

وفى «مانشستر» يتحدثون عن ثروة هائلة من المعلومات القديمة عن مصر بسبب وجود هذا العدد الهائل من الآثار المصرية فى هذه المنطقة من ساحة بريطانيا الجغرافية، ويشكل الاهتمام بهذا التاريخ أكثر من الرؤية والمشاهدة، حيث التركيز العلمى والقراءة الحضارية والإصرار الدائم على عملية الاكتشاف والبحث والذهاب إلى مصر فى رحلات علمية ضمن بعثات البحث والتنقيب.

وتشكل مجموعة «مانشستر» رقعة بالغة التأثير فى مجالات البحث التاريخى والحضارى والاهتمام العلمى بمصر.

ويذهب طلاب المدارس فى مانشستر إلى المتحف القومى فى وسط المدينة للتعرف والمتابعة

لحجم هذه الآثار وبدء القراءة فى دفتر مصر القديم، ويدرس تلاميذ المراحل الابتدائية فى المدارس البريطانية تاريخ مصر القديم فى إطلالة مبكرة للغاية على العصور الفرعونية والتركيز عليها.

وتكون هذه البداية أول موجة فى اللقاء مع مصر التى تصاحب الناس خلال رحلة طويلة من الإبداع على قاعدة القراءة فى عصر عملاق ارتبط بالعلم والقوة والاختراعات، والأهم من ذلك هو فجر تركيز الإنسان على البعد الدينى والتأمل فى عالم الله الفسيح والمتعدد. إن الحضارة المصرية القديمة تقدم معادلة شاملة تتعلق بالخلق وسيرة التوحيد والتقرب إلى الله وعبادته. وقد حاول المصرى القديم الاجتهاد قبل نزول الرسائل السماوية وكان حدس يحركه نحو الواحد الأحد خالق هذا الكون العظيم.

ويعد نزوع المصرى القديم نحو الدين والله من العلامات المبكرة للغاية التى ترسم صورة حضارة متقدمة.. فالسؤال الدينى لا يطرح نفسه إلا فى عالم يملك عقله وأدوات ثقافته تسمح له بالتأمل والتفكير.

وملف مصر الدينى فى العالم القديم يحرك أسئلة مهمة فى عالم البحث خلال أقطاب الفكر الصوفى ومراحل التدرج فى اكتشاف العالم والوصول إلى حقيقة الدين ومعنى الإيمان بالله وقدرته العظيمة.

وكتاب الحضارة المصرية مفتوح فى «مانشستر» عبر هذا الجهد البالغ فى إعادة هيكلة متحف «مانشستر» والاهتمام بالمجموعة المصرية النادرة التى يملكها.

والمدينة نفسها التى اشتهرت فى عصر الصناعات القديمة تعيد هيكلة نفسها والاعتماد على مصادر جديدة للدخل والاهتمام بالسياحة وجذب الزوار من بريطانيا والعالم إلى هذه البقعة المضيئة فوق الخارطة البريطانية.

وتعتمد «مانشستر» فى صفحة نهضتها الجديدة على متحفها القومى الذى يملك بجانب المجموعة المصرية مقتنيات أخرى من أنحاء العالم تسجل الاهتمام المبكر باقتناء هذه القطع وتشكيل سيمفونية بارزة للعزف الحضارى الإنسانى على مقاطع وأوتار إبداع الإنسان واجتهاداته المستمرة.

والمؤكد أن الاجتهاد المصرى فى كتاب الحضارة كان فائقًا للغاية وفذًا بدليل هذه المجموعة الكبيرة لدى متحف واحد فقط فى «مانشستر» يستعرض ما لديه عن مصر لدعوة الناس والزوار والسياح لزيارة المدينة والتعرف عليها.

وتقف المجموعة المصرية فى قلب متحف «مانشستر» فى دلالة بليغة على الإبداع الجميل والعمل المتنوع خلال آلاف السنين على لحن واحد يعزف أنغام الحضارة وجهد الإنسان.

وعندما تتجول داخل متحف مانشستر تشعر بأنك فى الأقصر أو تل العمارنة أو الجيزة فقد اعتمد مصمم الأجنحة على نقل أجواء البيئة المصرية.

وترافق سلسلة العروض المصرية من الآثار وفصول الحضارة مجموعة أخرى من ندوات ومحاضرات تتحدث عن مصر بالعودة إلى تاريخها القديم.

وتسمع خلال هذه المحاضرات أنه فى البدء كانت مصر، فكل شىء يعود إلى هذا النهر الحضارى الذى نما على أرض النيل وجاء بتدفق وإبداع مازالت الكتب تتحدث عنه وتحكى عن طبيعة معجزة مصرية تألقت فى العصور القديمة.

وجولة واحدة فى متحف مانشستر القومى تعيد زخم الاهتمام بمصر من خلال مجموعات كبيرة من الزوار تأتى كل صباح للوقوف أمام هذه الآثار والسؤال عن سر الإبداع الذى لا يزال يحير العقول والأبحاث ومراكز الدرس فى جامعات العالم.

وتشغل الآثار المصرية فى متحف مانشستر الاهتمام بمصر الحاضر والتوجه إليها لمشاهدة القصة على تراب الحقيقة.

obeikandl.com

جناح مصرى رائع بمتحف تاجر شاى

جرت فى العاصمة البريطانية إعادة متحف هورنمان جنوب لندن ليفتح نافذة جديدة على تعدد الحضارات والثقافات وإعطاء مساحة عريضة للتجربة البشرية وبلورة مناخ الانفتاح على اسهامات الشعوب على ظهر الكون، وعرض فنونها الشعبية ومذاق نفسها الحضارى.

والمتحف جرى تأسيسه فى عام ١٩٠١ وتم تجديده فى القرن الحادى والعشرين مع إضافة أجنحة مختلفة تهتم بتاريخ الموسيقى والفنون الشعبية فى القارة الإفريقية على وجه الخصوص. ويضع المتحف نفسه بقوة على خارطة التعدد الثقافى ويقدم إطلالة عميقة على تاريخ الحضارات والدور الذى قامت به شعوب فى صوغ الصورة الإنسانية المعاصرة.

وأسس هذا المتحف «تاجر الشاى» فريدريك هورنمان الذى كان مشغولاً بجمع القطع الأثرية من إفريقيا وأنحاء العالم القديم. وعندما ضاق منزله بهذه المقتنيات اتجه لإقامة هذا المتحف الذى ظل لقرن كامل ينقل حضارات العالم القديم ويفتح قناة خاصة فى جنوب لندن لمشاهدة مظاهر التاريخ الطبيعى ومتحف الأحياء المائية والاطلاع على فنون شعبية وأدوات تراثية تنتمى إلى العالم القديم.

وقد اهتم المتحف بالمقتنيات المختلفة، والتعرف على تطور اللغة الإنسانية وأهمية العقائد الدينية. ولدى المتحف نسخة نادرة من القرآن الكريم وطبعة معاصرة من المصحف الشريف، للوفاء باحتياجات أبناء المسلمين فى منطقة جنوب لندن.

تم تجديد المتحف، الذى يمثل تحفة معمارية زاهية بالألوان والمعلومات فى هذه البقعة المهمة فى قلب بريطانيا. وافتتحته وزيرة الثقافة البريطانية تيسا جويل فى شكله الجديد. وتحدثت عن المعنى الذى يمثله والدور الحضارى الذى يعمق من اتصالات الشعوب وتقى انغلاقها وتمتعها بالمعرفة والإطلال على جوانب أخرى من الصورة الإنسانية.

ويضم المتحف ورشًا للعمل مع الأطفال فى حصص للرسم والقراءة والغناء وشرح مظاهر الحضارات الأخرى ورصيدها الإنسانى والإضافات التى تقدمها للخبرة البشرية.

وتجولت الوزيرة البريطانية للثقافة طويلاً أمام أجندة المتحف فى حضور ثقافى بريطانى وإعلامى نقل مظاهر عودة هذا الصرح الإنسانى للعمل مجددًا مع إضافات بارزة بشأن الموسيقى وعرض جناح الآثار المصرية.

وتعد آثار مصر جوهرة التاج فى هذا المتحف المستمر منذ قرن. وكان هورنمان مبتعثًا

بالحضارة المصرية واقتنى عشرات القطع النادرة. كما أن المتحف لديه جناحه الخاص عن هذا الإنجاز المصرى؟ الذى لا يزال يلهم العالم والفكر والعلوم بعشرات الأفكار والاجتهادات.

وتوقفت الوزيرة البريطانية أمام الجناح المصرى وأشادت به وبطريقة العرض والحداثة العلمية فى تقديم هذه الفصول الحضارية للأطفال البريطانيين فى كل أنحاء البلاد.

ويزور المتحف سنويًا أكثر من خمسين ألف تلميذ، فى مختلف فصول التعليم بالمدارس البريطانية. ويهتم هؤلاء بالحضارة المصرية. وقد خصصت إدارة المتحف عشرات الكتب حول مصر من تاريخ الأسر القديمة إلى مراحل الفن الفرعونى مع إطلالة واضحة على مصر المعاصرة.

وتميز يوم الافتتاح للمتحف بتحقيق مجموعة من الصحفيين البريطانيين والدوليين الأجانب حول الجناح المصرى الذى يطل من جنوب لندن على المشهد الإنسانى. ومصر حاضرة فى هذا الصرح الجديد، الذى أنفق عليه الملايين لضم أجنحة جديدة تستعرض مراحل التاريخ البشرى.

ويتلقى أطفال المدارس البريطانية معلومات شائقة عن مصر فى إطلالة جميلة على تاريخ الوطن وتناول مراحل الإبداع المتجدد حول حضارته الشاهقة.

والتجوال فى مكتبة المتحف يشير إلى كمية الكتب والنشرات والموسوعات عن مصر. وتهتم كل المتاحف البريطانية بحضارة مصر القديمة. كما أن هواة جمع التحف والآثار ركزوا على اقتناء عدة قطع تشمل إشارات عن تاريخ الفراعنة وحجم العطاء الإنسانى لهم..

والاطلاع على هذا التاريخ يلهب عملية الاهتمام والاطلاع على مسار مصر المعاصرة، حيث يضم الوطن جميع أحقاب الإنجاز الحضارى الذى يشب على وادى النيل بهذا التألق والجمال.

وكانت إعادة افتتاح هذا المتحف مع بداية القرن الجديد تأكيدًا على إن الحضارة المصرية تقف شامخة والعالم ينطلق فى أفق ألفية ثالثة، إذ إن التاريخ المصرى له أجندته الزمنية التى تعود إلى سبعة آلاف عام من النمو الحضارى، الذى تقف بعض نماذج منه فى متحف هورنمان دلالة بالغة على هذا العطاء الذى قدم صيغة للإنسانية عن العلم والتسامح ومعارضة الانغلاق.

إن مصر جوهرة التاج فى حضارة العالم، والبريطانيون مولعون بكل ما هو مصرى، بسبب هذا التقدير البالغ لإنجاز الأجداد الذى لا يزال يطل على العالم من خلال مصر.

ولديه عينات بالغة الجمال والتألق فى نوافذ المتاحف فى لندن وجميع المناطق البريطانية الأخرى.

مصر تتحدث عن نفسها

يهتم متحف «بيرتى» بلندن بتاريخ مصر العريض والمتنوع فى عمق الحضارة القديمة وفصول العصر الوسيط مع ظهور حقبة مصر الإسلامية التى أضاءت بمعالم نهضة ومدنية وادى النيل بالعلم والإيمان ونهج الحضارة القرآنية التى جاء بهدى الكتاب وسنة النبى وتعاليم الدين الذى دخل فى جوف إيمان أبناء مصر بقناعة بعد عصور الاضطهاد والقسوة تحت الدولة الرومانية المحتلة.

وقد حرر الإسلام مصر من نير روما التى حاربت الشعب المصرى واضطهدت أبناء الوطن تحت القانون الرومانى الطبقى الذى يقسم الناس إلى سادة وعبيد.

وجاء الفتح الإسلامى يحمل معه نور الحق ونظرة القرآن الكريم العادلة أن الناس أسوياء لا فرق بين عربى وأعجمى إلا بالتقوى.

وتتوقف مقتنيات هذا المتحف بالحياة الجامعية البريطانية والمعاهد التى تدرس حضارة مصر من خلال فصولها المتعددة مع الحقبة الفرعونية ثم الانتقال إلى المرحلة المزدوجة فى الزخم اليونانى مع الرومانى والوصول إلى مرحلة مصر الإسلامية بعد التوقف عند عصرها القبطى تحت الحكم الرومانى الذى استقر فى مصر طويلاً بسبب وضعها الجغرافى وثروتها الطبيعية ومكانتها فى العالم القديم.

وتشغل مصر بتاريخها كله عقل العالم وأبحاثه المختلفة، فلا تزال المرحلة الفرعونية تكشف عن أسرارها فى كل يوم ليوجد الجديد على مائدة العلم والبحث عن جذور المعرفة الإنسانية.

ويهتم المتحف بنهج الدراسات المصرية وحلقات البحث المستمرة والعناق مع نظريات مختلفة عن إسهام المصريين القدماء فى صوغ مناهج البحث فى العلوم والإبداع الإنسانى.

ويقودنا الباحث المصرى المرموق د. عكاشة الدالى لدراسة أصول التصوف فى قلب حضارة مصر القديمة. ويعود بأبحاثه إلى عصر الفراعنة ويقدم نظريات البحث المعرفى فى عالم الله والخلق والوجود والتأمل فى ذات الخالق العليا. وقد عرف الفراعنة التصوف وهم بذلك وضعوا سمات هذا العلم المرتبط بالبحث فى ذاتية الله والأسماء المرتبطة به والدلالات على خلقه العظيم. وهذا علم جوانى يتطلب البحث والتأمل والترحال فى عالم النفس للوقوف عن طريقها إلى طريق الله والخلاص من ذنوب الدنيا والتطلع إلى الآخرة بعد الغسيل الروحى فى رحلة المشقة للوصول إلى الإشراق الداخلى والكشف النفسانى.

ويعود علماء التصوف بهذا الفرع المعرفى إلى حضارة الهند القديمة وإلى التراث الفارسى غير أن الباحث المصرى د. عكاشة الدالى ذهب بنا إلى الينبوع المصرى فى علامة على ريادة عالم الروح والوجد والمعاناة والتأمل للأبصار نحو نور المعرفة الجغرافية فى قلب الذات والوصول من هذه الحقبة إلى العالم وخالق الكون.

ويقودنا د. عكاشة الدالى إلى عشرات الاكتشافات المهمة فى علوم المصريات الحديثة وهو ما يهتم به متحف بيرتى فى لندن الذى يركز على الابتكارات الإنسانية لحضارة مصر القديمة وامتدادها فى عصور ما بعد الحقبة الفرعونية. ويمكن القول: إن هذه المؤسسة المهتمة بالآثار والتاريخ تركز على الفعل الإنسانى والآثار المرتبطة به لذلك تخلو قاعات المتحف من التماثيل العملاقة والأضواء تسلط على أداء الإنسان من خلال أدوات الحياة اليومية فى الملبس والمأكل وطريقة العيش وممارسة فقرات الاتصال مع الطبيعة.

ويضم المتحف لقطات من مشهد مصر عبر التاريخ فى ساحة الحضارة والفن والأشياء الدقيقة الدالة على عبقرية المكان وخصوصية الرحلة المصرية الطويلة الممتدة من العصر الفرعونى حتى الوصول إلى الحقبة الرومانية ثم الانتقال إلى عصر مصر القبطى والاستقرار على صيغة الإسلام عبر الفتح الذى شهدته مصر على يد العرب.

ومن يتأمل الإرث الرومانى على أرض مصر يرى التأثير البالغ للثقافة المصرية فى طريقة الممارسة الحضارية وعبر الأشكال المختلفة التى يضمها هذا المتحف من قطع وآثار تعكس أن سلطة الاحتلال الرومانية رغم قوتها العسكرية وهيمنتها تأثرت بالنموذج المصرى وقد اختار الرومان الظهور بالشكل المصرى وتبنوا طريقة الحياة وحتى الموت والانتقال إلى عالم آخر كان يحدث بالأسلوب الذى اختاره المصريون القدماء.

إن زيارة هذا المتحف تدفع نحو الوقوف على أسرار مصر القديمة والوسيطة. وقد تم كشف هذه الكنوز فى عمل جديد ومتميز يركز على عرض القطع المصرية خلال عصور مختلفة وتقديمها إلى الزائر بهذا الإطار الجميل والجذاب الذى يوثق المعلومات ويقدم الحقائق والتاريخ فى شكل علمى لافت.

وتهتم المعروضات الأثرية بأحقاب مختلفة من وادى النيل المصرى والارتباط بأرض النوبة فى علاقة جذابة بين خصوصية مصر المتعددة فى تكوينها الذى جذب الجميع فى إطار الكل فى واحد. فمصر هى المعادلة النادرة فى التاريخ حيث يحوى القلب الأحقاب المختلفة ونهر الوجود الوطنى بأشكال التعدد وألوان الزهور الوطنية كلها.

ويكشف متحف بيرتى من خلال مقتنياته عن مخزون متعدد من القطع والآثار تعبر عن استمرار تاريخ مصر بهذا الألق الحضارى. وألقت سالى ماكدونالد مديرة المتحف كلمة جميلة

فى احتفال بعرض مقتنيات «بيرتى» عن حضارة مصر وتاريخها والمحطات البارزة فى مشوار الإنجاز الإنسانى.

وحضر اللقاء مجموعة كبيرة من علماء الآثار والبحث فى ملفات حضارة مصر. وجاءت د. ميرفت عبد الناصر وهى من الأجيال المهتمة بربط المعرفة المصرية بإقاع إنسانى يبحث فى علوم الجمال والشعر والإبداع الفنى. وكانت قد حاضرت فى لندن عن «رؤيا» شاملة تجمع التاريخ بالبحث بالتأمل فى نهر تيار الحضارة وروح البقاء التى تتحدى صعوبات الزمن وتراكم التعثر بسبب التخلف الذى يعاند اكتشاف زخم التجربة الإنسانية وأبعادها فى عمق حضارة مصر.

وقد أثنت د. ميرفت عبد الناصر على عرض متحف «بيرتى» لآثار مصر بهذه الطريقة الموثقة التى تعطى صورة بانورامية كاشفة لأضواء الحياة المصرية القديمة وامتدادها فى نهر مصر الإبداعى خلال العصر الوسيط.

وشهد هذه الأمسية د. عكاشة الدالى فى جهد يواكب عملاً بارزًا عن حياة مصر القديمة وتنوع العزف الحضارى المصرى.

وجاء إلى اللقاء د. فؤاد مجلى، وهو باحث مهم فى مجال حضارة مصر القبطية وإلقاء الضوء عليها من خلال أبحاث منشورة له وعدة كتب تغوص فى الإرث المصرى البارز تحت المظلة القبطية.

وكانت د. أهداف سويف حاضرة، وهى روائية مهتمة بالتاريخ المصرى وأعماق أوراقه المختلفة، وكشفت روايتها الأخيرة «خارطة الحب» الاهتمام بالتاريخ والبحث فى حلقاته المعاصرة والحديث للوصول إلى جوف المعرفة للوقوف على دوافع الجهد الراهن المرتبط بمصر على خارطة العالم.

وشكل الحضور المصرى والبريطانى التجمع البارز فى نطاق الاهتمام بحضارة مصر وأوراقها التاريخية والوثائق المرتبطة بأداء متحف بارز، يخصص كل نشاطه لمصر فقط فى بحث مستمر لفصول الحياة على أرضها فى العصرين القديم والوسيط.

وكان لحضور هذه المناسبة والتجول فى أروقة المتحف والعيش داخل بوابة تاريخ مفتوح على مصراعيه أمام الزوار من البريطانيين الذين يتطلعون إلى المزيد من معرفة مصر والاطلاع على أسرار حضارتها العظيمة.

وطريقة العرض والابتكار تغرى بالوقوف أمام هذه القطع المصرية التى تشكل فى مجموعها لوحة عريضة ترسم وجه مصر الفرعونى والرومانى ثم القبطى والإسلامى.

ومصر معزوفة حضارية كان وراء تشكيلها هذا البعد الإنسانى الذى جعل الحضارات

تتجاور فى إطار لغة التعايش بدلاً من التناحر.

إن مصر حلت قضية صراع الحضارات، ويتعجب الإنسان وهو يتجول فى أروقة متحف «بيرتى» من عظمة الحل المصرى العبقرى الذى رحب بالجميع وأعجب بجميع الإبداعات، وظل يحتفظ بالوجه الفرعونى بجانب القناع الرومانى مع حضور الشخصية القبطية وإرثها وحلول العامل الإسلامى.

لقد تراكمت الحضارات والأديان فى سلسلة عجيبة من المصالحة والتعايش والحب بدلاً من الكراهية، ولهذا السبب قال د. عكاشة الدالى: إن المصريين أول من عرف علم التصوف، وهو علم جميل يسمح بالامتصاص والتأمل ويفرز الحب لأنه يتطلع إلى المعرفة فى شكلها الصافى الخالص من أدران الكراهية والتعصب.

إن رحلة داخل متحف «بيرتى» تثير هذا التأمل والنظر فى شريط مصر.

وقد أصابتنى حالة الإعجاب والتصوف وتذكرت مشهد د. ميرفت عبد الناصر وهى تشرح فى قائمة جمعية الجالية المصرية صورة لأسطورة لملكة مصرية قديمة تضم الجميع تحت جناحها فى لغة بديعة من التوحد والوجود فى صيغةالشكل فى واحد. وهو مصر بالتأكيد.

سفراء لمصر منذ مئات السنين فى مهمة مفتوحة

يملك المتحف البريطانى فى وسط لندن أكبر مجموعة من الآثار المصرية على مستوى دول أوربا والولايات المتحدة. وهذا الكنز المصرى يجعل المتحف من أهم أماكن الدنيا فى العلم الغربى إذ يجذب الملايين كل عام لمشاهدة آثار مصر وأثر عبقرية المكان على إبداع العقل والوجدان معًا فى نسج أضخم قصة عرفتها الحضارة البشرية.

ويركز المتحف البريطانى فى تسويق نفسه على ما يملك من الآثار المصرية التى تستهوى الزائر من بريطانيا نفسها والزوار من أنحاء العالم خصوصًا اليابان الشغوف جدًا بمعرفة مصر القديمة والاحتكاك بها والاطلاع على نهر استمرارها من خلال النافذة البريطانية.

وتعتمد بريطانيا على السائح الياباني الذى أصبح يملك المال والثروة. وينفق بسخاء فى لندن وتحولت بعض مظاهر الحياة فى بريطانيا لتأخذ الطابع الياباني، ويتضح ذلك فى محال بيع الملابس والمتاجر الاستهلاكية والمكتبات التى فتحت أبوابها أمام إنتاج الثقافة اليابانية وإصدارات الصحف والمجلات المكتوبة بهذه اللغة.

ويهتم الياباني بالثقافة خصوصًا الفقرات القديمة منها. ويستند شعب اليابان إلى حضارة عميقة فى التاريخ وينشغل الياباني المعاصر بعلوم و معارف يجد جذورها فى الحياة المصرية التى عبرت بقارب الفراعنة على شط النيل وفى قلب نهره المتدفق بالعطاء.

وعندما تذهب إلى المتحف البريطانى تجد أفواج السياح اليابانيين أمام تماثيل الملك رمسيس وحجر رشيد يحاولون فك ألغازه وأسراره القابعة فى عمق اللغة.

وتشهد أروقة المتحف اهتمام الزائر الياباني المتطلع إلى قراءة لوحات التاريخ المصرى القديم المنقوشة على الجدران وأعمدة المعابد وقواعد التماثيل القديمة.

ويقول د. روبرت أندرسون: إن المتحف البريطانى صرح للإنجازات الإنسانية فى العصور القديمة، والجناح المصرى يقدم الكنوز الهائلة التى تحفل بنماذج من التألق المصرى خلال حقبة امتدت لفترة طويلة وتركت للبشرية هذا التراث العظيم من الإبداع.

ويتحدث عن زوار المتحف حيث يصل عددهم إلى ستة ملايين زائر كل عام يأتى أغلبهم وفى ذهنه التراث المصرى. وأول ما يتجه إليه هو الجناح المصرى الذى يضم منتخبات من مختلف العصور الفرعونية فى عهد الازدهار والبناء والأفول.

ويرى د. أندرسون أن الجناح المصرى تم تجديده عبر عمليات التطوير الأخيرة ويضم

العشرات من القطع التى كانت موجودة فى مخازن المتحف ويتبع النظام الحالى طريقة التداول لإفساح المكان لأكبر ساحة من العرض أمام الزوار ويختار القائمون على عرض آثار مصر الاهتمام بحقب معينة وتنظيم احتفالية حولها كما جرى بشأن حجر رشيد وإعادة عرضه للجمهور بعد عمليات الصيانة والتجديد التى تعرض لها.

ويقيم المتحف باستمرار المواسم المختلفة لمتابعة علوم المصريات والوقوف على أسرارها ويشرف أعضاء القسم المصرى على تنظيم جدول الندوات واللقاءات الموسعة وعمليات البحث المستمرة فى تناول الحقبة الفرعونية بالبحث والتنقيب فى أوراق التراث.

وتتعاون مصر مع المتحف البريطانى ودائمًا هناك اتصالات ولقاءات فى إطار تنظيم المهرجانات الثقافية ودعوة الشخصيات البارزة فى علوم المصريات للحديث عن نظريات جديدة فى مجال الاكتشافات الحديثة.

ويهتم المتحف بعمل فرق بعثات التنقيب حيث إن الاكتشافات الحديثة تلقى الضوء على فصول التاريخ المصرى. وكان عالم المصريات البارز د.زاهى حواس رئيس المجلس الأعلى للآثار قد ألقى محاضرة بارزة فى قاعة محاضرات المتحف، اهتمت بالنظر فى ربط عصور الفراعنة بالحياة المصرية، وأن الأهرامات شيدها أهل مصر بعرقهم وجهدهم وعبقرية نظريات البناء حول دور ملوك الفراعنة والعقائد التى سادت فى عهد مصر القديمة.

وأثارت محاضرة د. زاهى حواس الكثير من الجدل والنقاش داخل دائرة علوم المصريات حيث إن الحفريات الجديدة تؤكد نظريات واجتهادات العالم المصرى ودائمًا يتحدث العلامة المصرى د. فكرى حسن عن نظريات الرصد الحضارى لطبيعة الحياة المصرية القديمة، وهو أيضًا يقدم نظريات تستند إلى قراءة وطنية تركز على عوالم البعد الإنسانى والإضافة إلى علوم المصريات عبر أجيال مصر الجيدة التى جاءت مع نهضة العلم وحركة البناء والاعتماد على عقول أبناء الوطن.

ومنظومة المتحف البريطانى تشجع على متابعة الآثار المصرية، فطريقة العرض مدهشة وهى تمثل أكبر دعاية لمصر وحضارتها، خصوصًا أن قاعات المتحف تستقبل يوميًا الآلاف من طلاب المدارس الذين يهتمون بقراءة أوراق مصر القديمة ويتطلعون إلى معرفة أسرارها المتنوعة.

وتعتمد إدارة علوم المصريات فى المتحف على أسس حديثة فى العرض والتوثيق وتقديم المعلومات وإصدار البيانات وتنظيم اللقاءات والندوات المفتوحة حول مراحل الحضارة المصرية والامتدادات المتميزة لها فى الفترة اليونانية على أرض مصر. ثم المرحلة الرومانية.

وتهتم علوم أبحاث المصرية بإصدار الكتب العلمية التى تتابع كل شىء فى ترشيد علمى

يركز على قراءات متنوعة وتتبع نظريات حديثة مثلما جرى الأمر تجاه الانقلاب البارز بشأن بناة الأهرامات وتأكيد بحث د. زاهى حواس بأن الحركة الرئيسية التى تقف وراء هذا السجل هى لأبناء مصر، كما تنفى النظرية أيضًا مقولة إن تشييد الأهرامات تم تحت ستار السخرة والاستغلال والعبودية.

وأكد د. زاهى حواس أن العبيد غير قادرين على الإبداع، وأن بناء الأهرامات تم بإرادة حرة نتيجة حب الشعب المصرى لحكامه الفراعنة، حيث كانوا يرتبطون بالمفهوم الدينى القائم آنذاك على ربط الحاكم بالعقيدة واتصاله بالسلطة الأعلى لسلسلة العبادات التى تمزج بين الوضع الدينى والجالس على عرش الحكم.

ويصدر المتحف البريطانى عشرات الأبحاث الجديدة فى علوم المصريات، وهو يقدم دائمًا نوعيات مختلفة من الاحتفاء بالحياة المصرية ونموها وتطورها على أرض مصر القديمة، وكان المتحف قد اهتم بالملكة المصرية القديمة «كليوباترا» واتصالها بحضارة روما ورغبتها فى تكوين إمبراطورية ممتدة بين عرشها فوق حكم مصر وسلطة الوضع فى الإمبراطورية الرومانية أيام حكم قيصر، ثم العلاقة مع القائد الرومانى أنطونيو لتحقيق الهدف نفسه.

ويعطى المتحف البريطانى مناسبات ومهرجانات مفتوحة للإضافة إلى تاريخ مصر عبر اجتهادات أهل العلوم المصرية والتركيز على نتائج الحفريات الجديدة.

وتقول هذه الحفريات: إن أرض مصر لا تزال تحتوى على عشرات القصص المجهولة فى الواحات ومنطقة الإسكندرية تجاه الحقبة اليونانية والرومانية.

وزيارة المتحف البريطانى من حين لآخر تعطى دائمًا الجديد فى فتح المشهد الحضارى الإنسانى على النافذة المصرية. وكلما تقدمت العلوم الحديثة أدى ذلك للمزيد من الاكتشافات المهمة بشأن تاريخ مصر القديم.

ويهتم المتحف أيضًا بالدراسات المتعلقة بالحقبة النوبية وتاريخها والاتصال بنهر مصر العظيم الذى يجمع سلسلة من الحضارات فى إناء إنسانى واحد يعبر عن شخصية مصر.

وهناك تعاون وثيق بين متحف النوبة الجديد وإدارة علوم المصريات بالمتحف البريطانى. وقد شهدت الآونة الأخيرة ازدهار هذا التلاقى على أرضية الكشوفات والحفريات التى تعمق من مسار الرصد لواقع النوبة والجزء الحضارى الذى هب على أرضها.

ولدى إدارة المتحف العديد من الأفكار بشأن تجديد طريقة العرض والاستفادة من منظر الآثار المصرية وترتيب اللقاءات التى تجرى فى القاعة المشهورة ويطل عليها وجه رمسيس بكل حضوره وعظمة التاريخ الذى ينتمى إليه..

ويقدم برنامج المتحف فى الأشهر المقبلة عشرات البرامج والمحاضرات والندوات، والتى

تدور كلها حول مصر: التاريخ ونهضة البدء الإنسانى فى كتاب الكون بهذا الإفصاح والبلاغة المرسومة على جدران المعابد وفوق قواعد التماثيل.

ولدى المؤسسة البريطانية مجموعة نادرة من الحلى والأدوات المنزلية فى بيان آخر على الدقة للصانع المصرى القديم الذى أبدع فى منظومة علوم الجمال.

وتعرض الآثار المصرية فلسفة الحياة التى كانت قائمة والتى تترجم حب الحياة والاهتمام بالعالم الآخر والتركيز على القيم وتماسك الأسرة.

وتظهر المرأة بحضورها المدهش فى حياة مصر القديمة، فهى تشارك فى السلطة والبرلمان الشعبى الموجود فى نهر الحياة.

لقد أعطى المصريون القدماء صورة بارزة لفهم جيد لأركان المجتمع وتم حشد جميع القوى لبناء نهضة الرخاء والازدهار.

ويعد المتحف البريطانى أفضل نافذة لحضارة مصر القديمة، فهو يضم سفراء الوطن فى رحلة مستمرة منذ مئات الأعوام فى مهمة متدفقة وبعتد مفتوح لتمثيل مصر فى الخارج بصورة الحضارة وإبداع الإنسان وتكوين الفكرة المصرية الخالدة عن الحياة والبعث ويوم الحساب ودور الإنسان المسئول فى تحديد مصيره.

صورة توت عنخ آمون
تطل على لندن من متحف العلوم

تغوص الحفريات البريطانية والعالمية فى ملفات التاريخ المصرى القديم فى محاولة دؤوبة لاكتشاف الأسرار وإلقاء الضوء على أحقابه فى مشوار التنمية الحضارية ولواء الإنسان الإنسانى الذى ساد مصر.

وتهتم دوائر أقسام التاريخ والبحوث بالوصول إلى معلومات جديدة تكشف خبايا عبقرية الحضارة وفصول أنماط الأداء السياسى والدينى والعالم كله لا يزال مشغولاً بمصر وتاريخها القديم تتم إعادة اكتشافه فى ظل مسار العلم وتقدم التكنولوجيا وتمنح وسائل العلم الحديث قدرة إعادة الاكتشاف كما جرى فى داخل هرم خوفو الأكبر بحثًا عن الغرف المختلفة، والأماكن المحجوبة عن الوعى والنظر التاريخى والاستكشاف الأثرى.

والعالم يعيش حقبة جديدة فى إعادة اكتشاف مصر، نتيجة تقدم التقنية وازدهار التكنولوجيا التى تدفع البشرية لمعرفة أسرارها ونفسها، وأول خطوة فى المعرفة هى مصر، حيث بداية الوعى الإنسانى وازدهار الحضارة الباسقة فوق وادى النيل.

وتشغل العصور المصرية القديمة الوعى الإنسانى بمساحة كبيرة من الاهتمام والبحث وعرض الأفلام والوثائق عن عهود الأسر المصرية والحركة السياسية وتكوينات القوى الداخلة فى جلب الوجود الحضارى لمصر وازدهار قدراتها على الواقع الإنسانى فى عهد قديم، لا يزال يهيمن على أداء مراكز البحث والاكتشاف.

والوعى الإنسانى مشغول بمصر، ويرى أن اكتشاف الأنا الحضارية للبشرية يبدأ على ضفاف النيل، حيث ظهرت حضارة متكاملة انتشرت على ساحة العلوم والفنون والأداء المعمارى والطبى على ميدان العقيدة والتوحيد.

وتهتم الجامعات البريطانية بحياة الفراعنة وبث مسار الحياة فى فصول الواقع المصرى، والبداية كانت مصر فى هذا الإرث الطويل الذى يشغل بال العالم واهتمامه حول الأحقاب المصرية وملوك مصر القديمة، والإرث المرتبط بهم.

وقد اتجهت عدسة البحث البريطانى لمعرفة المزيد عن فرعون مصر توت عنخ آمون، وهو شخصية مثيرة منذ اكتشاف هاورد كارتر لمقبرته منذ ٨٠ عامًا. وقد بهر الاكتشاف الحياة البريطانية لوجود هذا الإرث من المعلومات ومومياء الملك الشاب الذى مات وهو لا يزال فى الثامنة عشرة من عمره.

ورحيل الملك المصرى يثير الأسئلة، ومحاولة رسم صورة له خلف القناع الذهبى، ويعكس اهتمام مراكز البحث والتاريخ والتنقيب فى العصور الفرعونية المختلفة.

وتوت عنخ آمون يجذب البريطانيين رغم رحيله منذ ٣٣٠٠ سنة. وهذه الشخصية تلهب الخيال حول عصره وإنجازاته ورحيله المفاجئ، وثروته من كنوز الحضارة التى تركها خلفه فى مقبرته ولم يكتشفها أحد حتى جاء كارتر البريطانى وقدمها للعالم منذ ٨٠ عامًا.

وتدخل ساحة الاكتشافات دائرة الضوء مرة أخرى مع نجاح مجموعة من العلماء البريطانيين فى رسم صورة للملك الشاب تعطى للمرة الأولى ملامحه الغائبة وراء القناع الذهبى منذ ٣٣٠٠ سنة.

واستخدم العالم د. روبن ريتشارد عدة وسائل متقدمة فى إعادة رسم ملامح الوجه بالاستعانة بتقنية أشعة الليزر واستخدام لقطات متعددة من عناصر مومياء توت عنخ آمون حتى جاءت بهذه الصورة التى تم الإعلان عنها، ونقل العالم البريطانى عمله إلى عدة جامعات أخرى حتى اكتملت ملامح المشروع.

واهتم البحث أيضًا بسيرة الملك الشاب ومرضه ووفاته. وتقول الأبحاث الجديدة: إن توت عنخ آمون كان مصابًا بإعاقة نتيجة مرض فى العمود الفقرى، وإنه كان يستعين بالعصا للسير. وأن حالته المرضية مكنت رئيس الوزراء من الاعتداء عليه وقتله دون الدفاع عن نفسه.

وتعطى الصورة ملامح ملك حكم مصر منذ ٣٣٠٠سنة ويقوم متحف العلوم فى لندن بعرض الصورة الجديدة التى صنعها العلم المشغول بالحضارة المصرية، وكلما تقدمت النهضة العلمية كشفت المزيد عن حياة مصر القديمة التى وصلت إلى أوج انطلاقها على مسرح العالم القديم.

ويعطى هذا الاكتشاف لمحة جديدة عن مصر من خلال الملك الشاب الراحل ودراسته وتقويم نوعية نظام الحكم الذى كان قائمًا فى عهده.

وتشير الوثائق الجديدة إلى أن الملك عندما بلغ سن الرشد حاول الوصول إلى سلطة الحكم وممارسة السلطة بعيدًا عن نفوذ رئيس الوزراء إيان الذى انفرد بالنفوذ فى البلاط الملكى. وساعد الهجوم على الملك الشاب الذى تم اغتياله الإعاقة والعجز وعدم القدرة على صد الهجوم الذى قام به خصمه السياسى، الذى استغل ضعفه وقام باغتياله وإنهاء حكمه القصير للغاية.

والعالم كله مشغول بحياة الملك الشاب وهناك المئات من الحكايات عنه تنسج بعض الحقائق مع تيار الخيال والأساطير.

وهناك صحوة جديدة فى مجالات الحفر داخل التاريخ المصرى للوقوف على أسرار هذه الحضارة. التى تحمل إطلالة خاصة على بدايات الحياة الإنسانية فى عناقها مع التاريخ والعلم والإنجاز البشرى.

واعرف مصر، طريق لابد من المرور فيه لإعادة اكتشاف فصول إبداع الإنسانية وما جرى الآن فى ظل تطور العلم دلالة على هذا الاتجاه.